ضمائر الرفع المنفصلة

هو، هي، هم، واختلاف القبائل العربية بشأنها:

اختلف العرب -فيما نقل عنهم- حول حركة الواو والياء والميم من هذه الضمائر: هو وهي وهم - على مذاهب:

١- الثابت أن جمهور العرب يفتحون الواو والياء، ويسكِّنون الميمَ من هذه الضمائر الثلاثة، إلا أنه يشترط فى هو وهى ألا يُسْبَقَا بواو أو فاء أو ثم أو اللام أو همزة الاستفهام، فإن سبقت بأحدهما سكنت الهاء فيهما[١]، وبذلك قرئ فى السبع[٢]: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ**﴾ [الحديد: ٤]، ﴿**فَهُوَ وَلِيُّهُمُ**﴾ [النحل: ٦٣]، ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [القصص: ٦١] ﴿**لَهِيَ الْحَيَوَانُ**﴾ [العنكبوت: ٦٤]. وجميع ذلك قراءة الكسائي وقالون وأبي عمرو.

وكقول الشاعر:

أَهِيَ سَرَتْ أَمْ عَادَنِي حُلُمُ(*).

وبعد كاف الجر كقوله:

وَقَدْ عَلِمُوا مَا هِيَ كَهْيَ فَكَيْفَ لِي(**).

كما يشترط في الميم من هم ألا يسبقها ساكنْ، والضم في نحو: هم القوم، إنما جاء لالتقاء الساكنين، وإنما عدل إليه للاتباع كما في مذ الليلة[٣].

---

(١) الكتاب ٢: ٢٧٤.

(٢) سراج القارئ المبتدئ ١٤٩، النشر ٢: ٢٠٩.

(٣) شرح المفصل ٩: ١٣١.

(*) هذا البيت من كلام زياد بن حمل أوزياد بن منقذ العدوى.
وسرت: من السرى وهو السير ليلا. وعادنى: أراد زارنى، حلم: ما يراه الإنسان فى النوم.
والشاهد فيه: تسكين الهاء من ضمير الفصل «هي» لاتصال حرف الاستفهام به.

(**) البيت لم ينسب إلى أحد. وهو من شواهد الهمع ١: ٦٠، الدرر ١: ٣٧ وقد استشهد به على تسكين هاء (هي) بعد كاف الجر. قال أبو حيان: وذكر ابن مالك في الشرح أن السكون مع الهمزة والكاف خاص بالشعر.

٢- نقل المحققون من علماء النحو أن تسكينَ الواو والياء من «هو وهي» وصلا ووقفا لغة حكاها الفارضي وغيره لا لمجرد الوزن. وقد نسبت هذه اللغة إلى قيس وأسد وتميم[١] من بين سائر قبائل العرب.

قال الشاعر:

وَرَكْضُكَ لَوْلاَ هُوْ لَقِيْتَ الذى لَقُوا(*)

وقوله: حَبَّذَا هِيْ مِنْ خُلَّةٍ لَوْ تُحَابِي(**)

وأنشد قطرب:

وَكُنَّا إِذَا مَـا كَـانَ يَـوْمُ كَـرِيْهَـةٍ فَقَـدْ عَلِمُوا أَنِّـي وَهُوْ فَتَـيَانِ(***)

٣- انفردتْ همـدانُ فيمـا نُقِلَ عنها، بتشـديد الواو والياء فيهـما -مبـالغةً في التقوية ولتصير على أبنية الظاهر، وأنشد قطرب:

وإنَّ لِسَـانِي شَـهْدَةٌ يُـشْتَـفَى بِهَـا وَهُوَّ عَلَى مَنْ صـبّـه الله عَلْقَمُ(****)

وقد قـرأ بالتشـديد الأخفش عن ابن عـامر فى قولـه تعالى: ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:٢٩] وقوله:

---

(١) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: ١:٥٦، التسهيل ٢٦. اللسان ١٥:٤٧٦.

(*) البيت من شـواهد الهمع ١:٦١، والدرر ١:٣٧، ولم ينسب إلى قائـل. والركض: هو الضرب بالرجل للعدو ويتعدى بنفسـه كركضه الفرس إذا ضربته ليعدو ثم كثـر حتى أسند الفعل إلى الفرس، والشاهد: تسكين الواو من «هو» على لغة قيس.

(**) الشعر لم ينسـب إلى أحد، وهو من شواهد الهمع ١:٦١، والدرر ١:٣٧ -وخلة: بالفـتح الصداقة، والضم لغة فيها، وتحابى: مأخوذ من المحاباة أى تسامح من حبوته إذا أعطيته.

والشاهد: تسكين الياء من (هي) على لغة قيس.

(***) البيت مجهول القائل. والكريهة: الشدة في الحرب. وفـتيان: مثنى فتى وهو الشاب الحدث وقد يقال للعبد فتى والأمة فتاة من باب الاستعارة تسمية باسم ما كان عليه.

والشاهد تسكين الواو من (هو) على لغة لبعضهم.

(****) البيت ورد فـى المغنى ٢:٤٣٤، وهو من شواهد شـرح الكافية وشـرح شواهدهمـا ٢:٤٠٠، وقد أورده الفارسي في التذكرة عن قطرب والبغداديين، والشـهدة: العسل بشمعه، والعلقم: هو الحنظل وهو نبت كريه الطعم وليس المراد هنا بل المراد شديد أو صعب.

والشاهد: على أن همدان تشدد واو «هو» كما فى البيت.

وَهِيَّ مَا أُمِرَتْ باللطْفِ تَأْتَمِرُ[1](*).

٤- وبعض العرب قد يحذف الواو والياء من هو وهي ويبقى الضمة والكسرة دليلا عليهما[2]، ومن ذلك قول الشاعر:

بَيْنَاهُ فِي دَارِ صِدْقٍ قَدْ أَقَامَ بِهَا(**).

وقال آخر:

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلٌ رَخْوُ المُلاَطِ نَجِيْبُ

وقال الشاعر:

دَارٌ لِسُعْدَى إِذْهِ مِنْ هَوَاكَا

وقد نقل الكسائى: أنها لغة ولكنه لم يعين أصحابها(*).

(*) البيت من شواهد الهمع ١: ٦١، ولم ينسب إلى قائل، وتتمته: والنفس إن دعيت بالعنف آبية
والعنف: ضد الرفق. وآبية: من آب أى ممتنعة، والمعنى: إن النفوس لا تنقاد وتتابع بمثل الرفق ولا ينفرها مثل العنف.
والشاهد في قوله: وهي: حيث جيء بها مشددة الياء على لغة لهمدان.

(١) شرح المفصل: ١: ٩٧، شرح الكافية ٢: ١٠، الهمع ١: ٦٠ وما بعدها الشواذ: ٤٠ - التسهيل ٢٦.

(٢) شرح الكافية ٢: ١٠، اللسان ١٥: ٤٧٦.

(**) البيت لم ينسب إلى أحد معين، وهو صدر بيت عجزه قوله:
حينا يعللنا وما نعلله
ويعللنا من عللته: إذا سقيته السقية الثانية، والعلل: الشرب بعد الشرب. والشاهد في الضمير (٥) والأصل هو ثم حذف الشاعر الواو وبقيت الضمة دليلا عليها، وهذا ما يؤيد قول بعضهم إن أصل الضمير إنما هو (الهاء) والواو زائدة في الضمير -هو- ومذهب سيبويه أن هذا الحذف ضرورة لا يجوز إلا فى الشعر، والشعراء يجوز لهم فى الشعر مالا يجوز فى الكلام وهم لا يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها، ومثله قول العجير السلولى:
فبيناه يشرى رحله.. إلخ. ورحله: كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير.. ورحل الشخص: مأواه في الحضر ثم أطلق على أمتعة المسافر لأنها هناك مأواه. والنجيب: الجيد. والملاط: الجنب، والرخو: السهل الأملس.
والشاهد: فى قوله: فبيناه قال الأعلم: أراد بينا هو فسكن الواو ثم حذفها ضرورة فأدخل ضرورة على ضرورة تشبيها للواو الأصلية بواو العلة فى نحو: منه وعنه.

(*) البيت من شواهد الهمع ١: ٦١، وشرح الكافية وشرح شواهد: ٢٥: ٣٩٩، وتتمته:
هل تعرف الدار تبراكا =

وكذا فعل السيوطى[1].

٥- وذكر بعضهم أن بعض العرب تكسر ميم الجمع من ضمير «هم» الغائب بعد الهاء قبل ساكن وإن لم تكسر وقد جاء بعض ذلك مكسورا عن العرب.

قال عروة بن الورد فيما أنشده قطرب:

أَلاَ إنَّ أَصْحَابَ الكَنِيْفِ وَجَدتُّهُمْ هُمِ الْقومُ لَمَّا أخْصَبُوا وَتَمَوَّلُوا(*)

وأنشد الكوفيون:

فَهُوَ بِطَانَتُهُمْ وَهُمْ وُزَرَاؤُهُمْ وَهُمِ القُضَاةَ وَمِنْهُمِ الحُكَّامُ

ونسبها ابن يعيش إلى بعض بنى سليم[2]

أنا -واختلاف القبائل العربية فيه

المنقول إلينا من كلام العرب قد أثبتَ وجودَ اختلاف في لهجاتهم حول مادة هذا اللفظ، وانبنى عليه اختلافُ بعض النحاة العرب حول أصل هذا الضمير، هل هو أَنَ أو أَنا كلها، على أقوال[3].

= وتبراكا: بكسر التاء موضع. وقد اختلف البصريون والكوفيون فى الضمير من هو وهى، فذهب الكوفيون على أن الضمير منهما هو الهاء والواو والياء زائدتان، واحتجوا بهذه الأبيات.

وذهب البصريون إلى أن الضمير فيهما هما بمجموعهما، وقالوا فى تأويل ذلك: إنهما حذفا ضرورة للتخفيف.

(١) اللسان ١٥: ٤٧٦. الهمع ١: ٦١. وانظر هامش التسهيل ٢٦. (٢) شرح المفصل ٣: ١٣١.

(٣) شرح الكافية ٢: ٩ وما بعدها، الهمع ١: ٦٠ وما بعدها.

(*) البيت من شواهد شرح المفصل ٣: ١٣١، وقد نسب إلى عروة بن الورد المعروف بعروة الصعاليك.

ورواية قطرب التي أنشدها ابن يعيش شاهدا على ما ذهب إليه تخالف رواية البيت فى الديوان وهى:

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أخصبوا وتمولوا

وبعد البيت قوله:

وإنى لمدفوع إلي ولاؤهم بسلوان إذ نمشى وإذ نتعلل

والكنيف: هو الحظيرة من الشجرة تحظر عليهم كما تحظر على الإبل فتقيهم من الريح والبرد.. والشاهد في البيت على رواية الشارح وقطرب: كسر الميم من هدم للتخلص من التقاء الساكنين، وهذا يؤيد أن الميم لو ضمت قبل ساكن لاحتمل أن يكون الضم للتخلص من التقاء السكونين كما يحتمل أن يكون رجوعا إلى الحركة الأصلية عند بعض العرب، ومنه قول الآخر: فهم بطانتهم وهم وزراؤهم.. فيما أنشده الكوفيون، والبطانة: ضد الظهارة..

والشاهد: كسر الميم من «هم» لما التقى ساكنان، وفى البيت جميع الأوجه الجائزة في ضمير الجمع. فالساكن على الأصل. والمكسور: للتخلص من السكونين أو على لغة هذيل. والمضموم يحتمل وجهين:

الأول- أن يكون رجوعا إلى الحركة التى هى أصل عند بعض العرب.

الثانى- أن يكون للتخلص من التقاء الساكنين.